

الأعلامية النسوية الجزائرية القديمة (مقاربة أنثرولسانية)

Ancient Algerian Feminine Anthroponymy
(An Anthro-Linguistic Approach)

د. أسماء حمايدية *، جامعة 8 ماي 1945 قالة

Hamaidia.asma@univ-guelma.dz

تاريخ النشر: 2026/06/07

تاريخ القبول: 2026/05/03

تاريخ الاستلام: 2026/03/07

ملخص:

أسمائنا آثار ثقافية تخلص ذواتنا من ربة الهنا والآن، وتكشف في آن بنياتنا التصورية عن أنفسنا والعالم من حولنا، وفي ضوء التسليم باعتباطية العلاقة بين الاسم وحامله لا يمكن الوثوق بغياب أطر أنثروبولوجية تتحكم في الفعل الأنثروبونيمي، لهذا تأتي هذه الورقة البحثية لمكاشفة ذهنية المجتمع الجزائري المتقادم وسيرورته الثقافية في تسمية المرأة تحديداً، باسترفاد المقاربة الأنثرولسانية في نماذج مختارة بناء على حدة غرابتها ونفور الواقع الإعلامي منها اليوم. وقد أبان البحث أن المسالك الأنثروبونيمية متعددة بتعدد الثيمات المرتقبة، كما استطاع الرافد المعجمي إعادة الاعتبار لكثير من الأسماء القديمة المجهولة الدلالة أصلاً، أو تلك المذاعة بدلالة اجتماعية خاطئة، مما يتطلب إعادة توجيه الأنظار إلى قيمة الفعل التسموي في تحديد معالم الهوية الثقافية.

الكلمات المفتاحية: الأنثروبولوجيا، الأعلاميات، الاسم، المرأة، المجتمع.

Abstract:

Our names are cultural imprints that liberate us from the restrictions of the place and time and unveiling at once our conceptual structures about ourselves and the world around us. Given the arbitrary relationship between a name and its referent, we cannot rely on the absence of anthropological frameworks that control the act of naming. Hence, this paper seeks to explore the mentality of traditional Algerian society and its cultural method particularly in naming women, adopting the anthro-linguistic approach applied on selected models that today naming practices reject. The study showed that anthroponymic patterns are as diverse as the expected themes. Lexical source could reconsider many old names whose meanings were originally unknown or socially wrong interpreted. This requires reconsideration of the value of the act of naming in identifying the features of cultural identity.

Key words: Anthropology, anthroponymy, name, woman, society.

* المؤلف المرسل

. مقدمة:

إن مجرد التفكير في عالم من غير أسماء لا يمكنه الاستواء؛ لأنها محايدة للوجود ودليل كل موجود، بما في ذلك الذات، فهي من غير اسم نكرة لا يمكنها الانتساب إلى المنظومة الاجتماعية، القائمة لزاماً على التفاعل، ولا تفاعل من غير ترافد ولا ترافد من غير أسماء. إنها أولى الهبات العائلية التي تشتغل على المكون النفسي قبل الوعي به، لأنها في الواقع تتجاوز مهمة التعيين والتعريف إلى وصف الرؤى عن الذات والآخر والعالم من حولها.

نكاد نجزم بأن مسايلة الأهل عن المسمي ودواعي التسمي لم ينج منها أحد، إما من باب الرضا أو السخط، فالاسم هو الشيء الأوح الذي لا نخير له ولكننا وحدنا نحمل وزر غرابته أو سوء دلالاته، تماماً كما هو جارٍ في نفوس كثير من النساء الجزائريات، المنتميات إلى أجيال ماضية، وأخريات قد ورثن أسماءهن فمما شعورهن بالنقص والانتماء إلى الحاضر!

انطلاقاً من هذا، تهدف هذه الورقة البحثية إلى تبيان مسالك التدليل الأنثروبولوجي في الفعل الأنثروبونيمي النسوي في الجزائر قديماً، باعتقاد المقاربة الأنثروبولوجية اللسانية لنماذج اسمية مختارة

بطريقة عشوائية من سجلات الوفيات للحالة المدنية لبلدية حمام النبائل، ولاية قالمه، رغبة في التعرف على الخلفيات الثقافية والإمساك بالتصورات الاجتماعية المحددة لمعالم هذا الموروث الحضاري، لأن الاسم جزء من اللغة، واللغة وعاء كل تجربة ثقافية، وقد كان لنا في شهادة بعض أعيان المنطقة المستنئين شيء مما نهتدي به في توجيه الدلالات وتحديداتها في ضوء الاحتمالات الدلالية الكثيرة للوحدة المعجمية.

قد يثير هذا الاختيار سؤالين تباعا، لم المرأة؟ ولم قديما؟ في ظل العلم بأن الاسم لازمة ذاتية على اختلاف الجنس، وسيرورة زمنية لا مناص منها. والإجابة منوطة بأسباب موضوعية متعلقة بغرابة الأسماء الممنوحة للمرأة فيما تقادم زمنه نسبيا، حتى أننا لا نكاد نعثر على واحد منها في يومنا هذا، لقد ماتت بموت أهلها ولم يبق منها إلا رسمها في سجلات الحالة المدنية، تلك الغرابة ولدت في أنفسنا الرغبة في معرفة ما يحكمها من تصورات ذهنية ورؤى إيديولوجية ومفاهيم أنثروبولوجية، وبحكم أن بعضها مما حملة ولا يزال يحمله أهلونا من غير علم بدلالاتها وعلاقتها، ارتأينا الاسترفاد بما يوفره التراث اللغوي/ المعجمي من معطيات دلالية قد ترجح كفة سببية دون أخرى من جهة، باعتبار الدلالة المعجمية هي دلالة اجتماعية سابقة، لتقدم منظورا ثقافيا للتسمية من جهة ثانية، تستشف منه الثيمات الخاصة بعالم المرأة محليا وكيف تتمثلها الأسماء. ثم إن مباحثة الأسماء القديمة تحديدا يمكننا من تبين مكانة المرأة في المجتمع الجزائري آنذ، حيث كان الرجل يتشدد في التمسك بمكاسبه التقليدية المستقاة من النسق القيمي والثقافي الذي نشأ فيه، والمنقص بطبعه من قيمة المرأة، كما إن النظرة العجلى في تلك الأسماء النسوية القديمة تنبئ بحجم المفارقات الانثولوجية في التعامل مع المرأة، حيث يتجاذب فعل التسمي قطبان: المرغوب فيها والمرغوب عنها.

عمادا على هذا، انبنى البحث على الإشكالية الرئيسية الآتية: ماهي التعبئات الثقافية والتصورات الانثوية المتوارية خلف الأسمائية النسوية الجزائرية قديما؟ وتتفرع منها بالضرورة أسئلة ثانوية من قبيل: هل باستطاعة الرافد اللغوي/ المعجمي رفع اللبس ودفع الغرابة عن أسماء الجزائريات قديما في ظل غياب موجّهات الاهتداء إلى دلالاته الأنثروبولوجية؟ ما المنظور الاثني الجزائري في المرأة بناء على ما تسمى به؟ كيف تتحوّل الأسماء من مجرد قالب لغوي تعريفي إلى رموز كشفية لمحاسن المجتمع المحلي ومفاسده؟ ما مقام المرأة محليا في ضوء المعطيات الأنثروبونيمية؟..

وتقتضي طبيعة البحث الاعتماد على المنهج الوصفي وما يستدعيه من لوازم التحليل والتفسير، بالانطلاق من وصف شيء من الواقع الأسمائي النسوي الجزائري القديم، ثم تتبع دلالة أصول الأسماء معجميا ووصفها محاولة رصد حمولاتها الانثوية الخفية، مع وصف ما تحمله أسماء ذات دلالات صريحة من تفكير فج أو سام... وقد اتخذنا من لسان العرب لابن منظور معولا في قصص الدلالات، بناء على ما يتمتع به من شهرة أكاديمية لسعة مادته وثراء سياقاتها الحقيقية والمجازية، واعتضدنا أيضا بالمعجم الوسيط لمناسبته الشائع من الاستعمالات اللغوية.

1. الاسم والهوية:

يناط لفظ الهوية عادةً بالذات وما يلزمها ويلازمها، ممثلاً في مجموع المقومات التي بها يتحقق لها الوجود وتتأكد الماهية، من ذلك منحها اسماً يضمن لها قراراً في الذاكرة الجمعية، ويهيئها للاندماج الاجتماعي، ومع أن الاسم في أصله تعريفي إلا أن هذا لا يفي اعتباره خطاباً متكاملًا يحسن وصف تصوراتنا عن الأنا والآخر، ولهذا لا يمكن إنكار إسهامه في التأسيس للقوام الهوياتي والتاريخي والحضاري.

إذن، أسماؤنا علامة علينا، كونها في مقدمة الرموز التي نتمايز بها، وما دامت جزءا من اللغة سينسحب عليها ما تستدعيه أعرافها، فلا تستطيع تعدي حد الإطار الاجتماعي الذي أبدعها محملاً بإياها رؤية جماعية للأشياء، فالأسماء بهذا المعنى ليست أوعية فارغة، إنما هي شحنات تحسن تصوير المسالك السوسيوثقافية للجماعة اللغوية، إنها تتقدم الأدلة في استنباط معالم هوية حاملها ومكاشفة أحوالها ومتابعة تغيراتها؛ لأن «الاسم الشخصي شكل من أشكال إحداث بصمات ذاتية ومجتمعية في شخص المسمى، وهو لا يؤرخ للحدث الحاصل ويشهد على الاعتقاد السائد ويعبر عن الثقافة المحلية الموروثة فحسب، بل إنه فاعل اجتماعي يرصد حجم المخيال الشعبي في الفضاءات السوسولوجية» (جباس، 2005، صفحة 168)، وهذا ما يوثق وصاله بالأنثروبولوجيا الثقافية.

إن الاسم تعبئة ثقافية مشبعة بتصورات ذهنية كبرى، تفسر رؤانا للوجود وعلاقتنا بكل موجود، وهذا ما جعله محلّ اعتناء الدارسين منذ زمن إلى أن حظي باستقلالية الممارسة العلمية من خلال الأنثروبونيميا

(l'anthroponymie) كفرع من الأنوماستيك (l'onomastique) ضمن الأصل الأنثروبولوجيا (l'anthropologie)، وقد أوتي هذا التوجّه مبلغاً عظيماً عند مؤسّسيه، ومع ذلك لا يزال قليل الخطوة عربياً ومحلياً، لسواد الاعتقاد بأنّ البحث فيه لا يستحقّ أيّ جهد علمي رغم أنّ الاسم رديف الذات، فحن نتقرب إلى بعضنا بالأسماء لنؤكد على حجم علاقاتنا، إذ قد نصعّرها إصراراً على شدة الحميميّة بيننا، ونتجنّب أخرى حفظاً لمنازل أهلها، ونستوحش أخرى درءاً لمفاسد حاملها، وقد نتحاشى أخرى بغضا لصاحبها، ونغير أخرى نكالا به أو استهزاء منه، ونطلب تلك أملا بفحواها، ونترك أخرى لفوات زمانها، ونبتدع غيرها إشعاراً بالمفارقة وهكذا...

إذن الهوية اسم قبل كلّ شيء، ثم تأتي لوازمها الاجتماعية والثقافية تبعاً، ولهذا فإنّ البحث في الفعل الأنثروبونيمي لا يمكنه الخروج عن السياق اللغوي والإطار المرجعي الذي مرس فيه، والذي ألهمه الحياة والكيونة والاستمرارية، وجعل منه «نصاً ووثيقة اجتماعية وثقافية، وخطاباً تاريخياً وإيديولوجياً، وصورة فنية وجمالية، إنّ كلّ هذا بصورة مفتوحة، لأنّه ليس نظاماً لغوياً مغلقاً يعكس نفسه فقط، بل ترجمان صادق وحي لثقافة المجتمع، وعقيدته وإيديولوجية أفراده» (سعيد، بلا تاريخ).

إنّ الاسم ليس له وجود عينيّ إلاّ بفضل مرجعيّاته التي ألهمته المادّة والميلاد والحركة ضمن بنيات اجتماعية وثقافية مخصوصة؛ ليغدو حقيقة تواصلية تجوب الأزمنة والأمكنة مختزلة مجمل التّصورات الذهنية للأفراد والجماعات، إنّ مادّة اثنيّة لأنّه جزء من اللّغة، واللّغة اثنولوجيا «انعكاس لفظي لحياة الناس وبيئتهم الجغرافية، ونشاطهم الاقتصاديّ وعلاقاتهم العاطفية والقانونية والسياسية والدينية في الماضي والحاضر، كما أنّها انعكاس لطموحهم وآمالهم في المستقبل، ولهذا فكّل اللّغات مليئة بوقائع الحياة وتجارب الماضي وتخيّلات المستقبل، وفوق هذا مليئة بأعماق النّفس وعوالم الأرواح وما وراء الطّبيعة» (رياض، 2012، صفحة 331).

ويعدّ الفعل التّسموي أيضاً حدثاً سوسيولوجياً مشحوناً بالعديد من الدلالات التي تعبّر عن الموروث الثقافيّ، بل باستطاعتها رفع الحُجب عن نوااميس التّطوّر الاجتماعيّ، ومكاشفة معالم الهوية الثقافية، وقد تتجاوزها إلى رصد الهوية القومية عبر تقاطع مسارات التّداول الأنثروبونيمي، تماماً كما هو جارٍ في الوطن العربيّ، إذ يقع الإقرار بوجود منعطفات أنثروبونيميّة عربيّة كثيرة، ومع ذلك يشهد الواقع الإعلاميّ اليوم انقلاب موازين التّسمي، على غرار ما هو ملاحظ في الجزائر، لقد بات الفعل الأسمائي مدار التّنافس بين أغلب أهلها، فترى الواحد منهم يتخيّر الأسماء ممّا تستجده الشبكة العنكبوتية عبثاً! ويشدّد على مداراته ليفاجئ أقرانه وأهله بها، فإذا سئل عن المعنى يلوك بما شاء للإقناع! والأغرب أن يجني على اللّغة ويحمّلها مالا طاقة لها به! والأشدّ غرابة تسليم السلطات بتقييد الاسم رغم عجمته! أو تستنكر اسماً لا تعلم حجم أصالته! ولعلّ ما تناقلته منشورات السوشل ميديا بشأن أسماء متعلّمي السنة الأولى ابتدائي هذا العام تنديدا بالتّحوّل الأنثروبونيمي المهل ممّا يستقيم دليلاً، وقد بدت الظّاهرة أكثر تفشيّاً في أسماء الإناث، مع الاحتفاظ واقعياً بالاستثناء، الذي تصنعه عادة الأسماء ذات المرجعية الدينية، وهذا في ذاته كفيّل بطرح انشغالات عديدة، يمكن التماس تفسيراتها في طروحات الأنثروبولوجيا الثقافية.

2. الأنثروبولوجيا الثقافية:

يأخذ هذا العلم مسمّاه من (الثقافة) التي تعدّر على الباحثين رصد مساحتها الموضوعية والمعرفية والرمزية بناء على تشابك عناصرها البنيوية، محالوا «فهم الظّاهرة الثقافية وتحديد عناصرها، كما يهدف إلى دراسة عمليّات التّغيير الثقافيّ والتّمازج الثقافيّ، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات، ويفسّر بالتالي المراحل التطوريّة لثقافة معيّنة في مجتمع معيّن» (سنوسي، 2017، صفحة 5) سواء أكان ممّا قد تقادم عهده أم كان معاصراً.

وقد وُجّهت الأنثروبولوجيا الثقافية في بداية مراحلها التكوينية نحو إجراء دراسات تفصيلية لثقافات مجموعات صغيرة كالقبائل والعشائر، بتتبع تطوّراتها الثقافية من أجل معرفة النوااميس التي تحكم نموّ الثقافة وتطوّرها، ثمّ تحوّل الاهتمام في مرحلة لاحقة نحو ما يُعرف بالمنطقة الثقافية باصطلاح ويسلر، الشبيهة بدائرة، تلتفت حول مركزها معظم العناصر الثقافية، وتقلّ كلّما شطّت عنه. وأسهم هذا الطّرح في نضوج هذا العلم لمّا كثر الاشتغال بالعناصر المشتركة في الثقافات المتشابهة، واستمرّ تطوّره لمّا تحوّل الاهتمام إلى دراسة المجتمعات المتمدنة، فساد بذلك مختلف الجامعات عالمياً (شعبان، 2019، الصفحات 66-68) وقد

استثوت مبادئه وتنوّعت مناهجه، وتحدّدت أهدافه بعد أن «كان نوعاً من الهواية» (شعبان س.، 2004، صفحة 16)، ومع ذلك ظلّ يتجاذبه معنيان: واسع وضيق، أمّا الأوّل فيشمل علم آثار ما قبل التاريخ وعلم اللغة الأنثروبولوجي، بالإضافة إلى الدراسة المقارنة للثقافات والمجتمعات الإنسانيّة. وأمّا الثاني فيقتصر على دراسة الثقافات والمجتمعات الإنسانيّة فقط (شعبان س.، 2004، صفحة 16) على أساس أن «الثقافة ظاهرة حقيقيّة وعامّة، إنّها تفكير جماعيّ وتطبيع للأفراد الجدد بهذا النمط من التفكير، وهي سلوك في نفس الوقت، وقابلة للتغيّر نتيجة احتكاكها بثقافات أخرى» (شعبان س.، 2004، صفحة 26). ولا تقتصر الثقافة في منظور الأنثروبولوجيين على مجتمع معيّن وإنّما هي موجودة في كلّ المجتمعات، بدائيّة وغير بدائيّة، ولذا يستنكرون مقولة: مجتمع له ثقافة ومجتمع ليس له ثقافة؛ لأنّ هاتين الكلمتين إنّما تعنيان فرقا في الثقافة وليس استبعادا لها (شعبان س.، 2004، صفحة 34).

ورد في أبجديات البحث الأنثروبولوجي أنّ التعريف الذي قدّمه إدوارد تايلور للثقافة كان لبنة الشروع في مباحث الأنثروبولوجيا الثقافيّة، بوصفها ذلك «الكلّ المركّب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والقيم والأخلاق والقانون والعادات، وأيّ قدرات أخرى يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع» (شعبان س.، 2004، صفحة 28). والملاحظ أنّه حمّال لسماتها، فهي إنسانيّة ومكتسبة وانتقاليّة، وبالغة التعقيد أيضاً، ولهذا «ليس باستطاعة الأنثروبولوجي مهما بذل من جهد أن يسجّل كلّ مظاهر أيّ ثقافة مهما بلغت من البساطة» (شعبان س.، 2004، صفحة 36)، وتيسيرا للغاية العلميّة ميّزوا بين نوعين من الثقافة هما: الثقافة المادية والثقافة المعنوية، تشمل أولاهما كلّ نتاج ملموس، وبمظاهر السلوك المختلفة تتعلّق الثانية، ويندرج ضمنها فعل التسمي بوصفه فعلاً لغويّاً، وكلّ فعل لغويّ هو فعل ثقافيّ لازماً.

3. اللّغة أم الرّموز الثقافيّة جميعاً:

أعاب علماء الاجتماع المحدثين تعريف الثقافة عند تايلور - بصفته مقدّمة التعريفات - لإغفاله عنصر اللغة رغم أنّها أرقى الأنساق الكاشفة عن مجمل التّسنيّنات التي تبلورها الممارسة الإنسانيّة باستمرار، «فلا شيء فينا وفي العالم يمكن أن يُستبطن خارج لفظها وتركيبها ودلالاتها، ولا شيء يمكن أن يُدرك أو يكشف عنه في الوجود خارج تقطيعاتها المفهومية» (بنكراد، 2013، صفحة 181)، ولهذا نما الاعتقاد بأنّ «الإنسان ليس سوى اللغة التي يتكلّمها» (ايكو، 2002، صفحة 273)، بل قياساً على المقولة الديكارتية قيل: «أنا أستعمل اللّغة، إذا أنا إنسان» (الزواوي، 2013، صفحة 17)، ومن هنا يقع الاتفاق الجمعي على اعتبار «الإنسان والمجتمع والإنسانيّة منتجات لسانیّة» (بنكراد، 2013، صفحة 185)، لأنّ العالم ككلّ لا يلج إلى أذهاننا إلّا من خلالها، فالفرد مهما ارتقت أساليبه التّواصلية ليس باستطاعته امتلاك الكون رمزياً، ولكن بإمكانه فعل ذلك بواسطة اللّغة، لأنّه حين يسمّي الأشياء بمسميّاتها فهو في غنى عن استحضار المعادلات الموضوعية، فيضمّن له الخلاص من ربة الهناء والآن في ممارساته الحيّاتيّة. ولأنّها «الواقع الاجتماعيّ بمعناه الأوفى» (فندريس، 1950، صفحة 35) تنصّدر باستحقاق وجدارة تلك المنظومة المتكاملة من الرّموز الثقافيّة التي يرتكن إليها المجتمع ليضمن تمايزه؛ لأنّه يصعب تخيل وجود قوام ثقافيّ في معزل عن اللّغة وإن في شكلها المنطوق على الأقلّ، ومن هنا تأتي مشروعية الجزم بأنّ «اللغة هي أم الرّموز الثقافيّة جميعاً» (الزواوي، 2013، الصفحات 17-18).

اعتباراً لسلطانها هذه، وفي ظلّ محدثات علم الاجتماع الثقافيّ وُصف الإنسان بأنّه «كائن لغويّ ثقافيّ بالطّبع قبل أن يكون اجتماعيّاً بالطّبع» (الزواوي، 2013، صفحة 23) فكلّ فرد مثلاً يجد نفسه - في نشوئه - محكوماً بنظام لغويّ معلوم، يتلقّاه كما يتلقّى سائر النّظم الاجتماعيّة الأخرى، بل يخضع لإملاءاته الجبريّة، وهذا يعني أنّ اللغة نظام ثقافيّ لا يرتبط وجوده بوجود الفرد، بل إنّ الفرد هو الذي يدخل إلى هذا النّسق منذ ولادته فيتربّي فيه، ولهذا «من اللّاممكن الرّغم بأنّ لغتنا هي ملك لنا، لأنّها نسق ينبغي أن نتنازل له عن جانب كبير من فرديّتنا إذا أردنا أن ندخل فيه» (زيد، 1980، صفحة 253) واستناداً إلى هذه المعطيات المعرفيّة وُجدت الأنثروبولوجيا اللّسانيّة لتعنى بـ «دراسة اللّغة كثروة ثقافيّة والكلام كتمارين ثقافيّة» (دورانتني، 2013، صفحة 22)، انطلاقاً من فرضيّة «وجود أبعاد للكلام لا يمكن إظهارها إلّا عند دراسة ما يفعله النّاس حقّاً باللّغة في استعمالهم الكلمات والصمت وحركة الجسم بشكل ينسجم مع سياق الكلام» (دورانتني، 2013، صفحة 33).

4. الاسم جزء من اللغة ورمز ثقافي:

علاقة الأسماء بمسمياتها عموماً جزء من معترك اللغة الفلسفي، حيث اختلاف التيارات الفكرية بين علاقة طبيعية وتوقيفية واصطلاحية معروف في مسار البحث اللغوي، أما على الصعيد الإعلامي/ الأسمائي فالاتفاق تام على أن الأسماء «لا تفيد وصفا للمسمى، وإنما وُضعت لمجرد التعيين والتضمين، فلو قلبت وسميت زيدا بعمره، وعكسه لصح، إذ كل اسم منها لم يختص بمن سمي به لمعنى حتى لا يجوز أن يعدل به إلى غيره» (السيوطي، 1998، صفحة 49). وهي أيضاً وُضعت من باب «الاختصار وتكثيف الإكثار، فالاسم الواحد قد يؤدي بنفسه تأدية ما يطول لفظه ويملّ استماعه، ألا ترى أنك إذا قلت: كلمت جعفرًا (...) لا يمكنك في التفصيل أن تذكر جميع أحواله التي تخصه، فلما رأوا ذلك أنابوا عن جميعه اسماً واحداً علماً يغني عن الإطالة والمالة» (الشمسان، 2005، صفحة 13).

إن القول باعتباطية العلاقة بين الاسم وحامله لا يمنع أبداً وجود أطر مرجعية مسئلة من اللغة وخارج اللغة، تُنتقى على أساس منها الأسماء، فتُظهر التفسيرات تلك السندات المتعلقة بملاسات الحياة وأحوالها، ولهذا تتحول الأسماء إلى رموز لغوية حمالة لأنباء اجتماعية وتاريخية وثقافية ونفسية وحضارية أيضاً، بحكم أن فعل التسمية يتأثر بتغير نظم المجتمع، ولنا في التاريخ الإسلامي خير الشواهد، حيث قضى الأمر المحمدي بتغيير أسماء كثيرة تخليصاً للعقل من الفجاجة العقدية، إذ كان من مألوف العرب توعد الأعداء بأسماء الأصباب، فتتخير منها ما استوحش تهديداً وترهيباً، على غرار: أوس، وكتب، وأسد، وهو منهج مختلف كلياً عما تنادي به عبيدها، إذ تميل في أسمائها إلى الملاطفة والسكينة، على غرار يمن ويسر وسعد... (الثعالبي، 2003، صفحة 408) والمفاد من هذا أن الاسم وثيقة اجتماعية وثقافية؛ لأنه ليس نظاماً لغوياً مغلقاً على نفسه، بل هو مرآة لثقافة المجتمع وعقيدته وإيديولوجية أفرادِهِ.

إذن «وظيفة التسمية تتجاوز الجانب التعريفي إلى جانب تعبيريّ، حيث تعكس مختلف تصنيفاتها الدلالية خلفيات سوسولوجية وعقائدية وعقدية واثنية خاصة، كما ترسخ انتشاراً ثقافياً بين فضاءات محدّدة» (جباس، الاسم هوية وتراث، 2005، صفحة 169)، بل من الأسماء ما يصبح أثراً ثقافياً مشبعاً بأبعاد اجتماعية وتاريخية وحضارية وثقافية وقومية... ولهذا تبدو المقاربة الأنثروبولوجية اللسانية (أنثرولسانية) أمكن المقاربات في مكاشفة هذه الأبعاد.

5. المقاربة الأنثروبولوجية اللسانية:

بعيدا عن السجال العلمي حول الحدود الفارقة بين الأنثروبولوجيا الثقافية واللسانية يظل الوثوق باستواء الأخيرة علماً قائماً بذاته تتعدّد روافده وتتوّع آلياته التحليلية بتنوّع اللغات وفروعها، ولكن هذا لا يمنع أيضاً اتّصاله بسابقه (الأنثروبولوجيا الثقافية) ما دام من الصّعب الفصل بين اللغة والثقافة، حتى إنّ الأنثروبولوجي شتراوس Strauss اعتبر العلاقة بينهما من أكثر المشكلات تعقيداً، فاللغة مثلاً هي جزء من الثقافة هي شرط لحدوثها أيضاً (أسعد، 2024، صفحة 11)، ولهذا أحاط غاليسون Galisson اللغة بثلاث وظائف عملية، فهي (الناقل) و(النّاتج) و(المنتج) لجميع الثقافات. (أسعد، 2024، صفحة 12) ومن هنا يأتي التسليم بدور المرجعيّات اللغوية في مكاشفة التمثلات الثقافية للجماعة الاثنية.

تماشياً والغاية البحثية النزاعة إلى بيان التعبئة الثقافية في الأسماء عبر العتبة اللسانية من الطبيعي جداً الاسترفاد بالمعجم، لأن الدلالة قبل أن تكون معجمية هي اجتماعية بطبعها، لذلك تستطيع تقديم رؤى وتصوّرات متحكّمة في فعل التسمي، أي لعلّها الأصل الذي انحدرت منه ثم توارت مع تعاقب الأزمان فلم يبق منها إلا الرّسم المعلوم، لأنّه لا يمكن لأيّ اسم التّصل من جذور لغوية معلومة إذا ثبت انتسابه إلى لغة أهله، مع التّنبية إلى ما يمكن أن يلحقه من تغيير بفعل عوامل لغوية وغير لغوية.

عماداً على هذا، نتوسّل بالمعجم تيسير ما استصعب إدراكه من دلالات أسماء النّساء القديمة الغربية والمنفورة وما يردفها من حمولات أنثروبولوجية، مع واجب الإشهاد بأنّ اجتهاد التّخريج الدلاليّ يظلّ نسبياً؛ لأنّ المداخل المعجمية تتغيّر بتغيّر النّظم الاجتماعية، فلعّلّ من المعاني الاجتماعية ما لم تحط به المعاجم، ثمّ إنّ من الأسماء ما تفسّره العاميّات دون غيرها، فضلاً على احتمال وجود أسماء ساقها إلينا النّثاقف، فيصبح من الصّعب الإمساك بدلالاتها اللغوية والاثنية...

6. اسم المرأة الجزائرية قديما والمحتوى الثقافي:

تجدر الإشارة إلى أن تنامي الرغبة في مباحثة الأسماء النسويّة القديمة عائد إلى ما أثارته بعض الصفحات الفايبوكيّة على غرار صفحة (femme algérienne) من سخرية اجتماعية كبيرة بخصوص أسماء النساء قديما، وقد أمكننا أن نستشف من التعليقات بعض التفسيرات الانثوية، التي تؤكد أن فعل التسمي «حدث أنثروبولوجي مشحون بالعديد من الدلالات التي تشهد على الواقع، وتفصح عن الاعتقاد السائد، وتعبّر عن الثقافة المحليّة الموروثة، وتكشف عن الهوية الثقافية وحتى العقلية الجمعيّة المشتركة» (جباس، الاسم هوية وتراث ، 2005، صفحة 145)

1.6 اسم وثيمة منتظرة:

إن الناظر في الأسمائيّة الجزائرية الأنثويّة قديما يجدها محكومة بثيمات مشتركة، وتحسّن الإفادّة هنا بأننا نتعامل مع مصطلح الثيمة بعيدا عن السّجال العلميّ الذي تتجاذبه معارف مختلفة، فهو في حدود الموضوع أو الحقل الذي تنتمي إليه مجموعة أسماء تشير إلى دلالات مشتركة، من حاصل تلك الدواعي النفسيّة والذهنيّة التي نفسر بها ما نتعرّض له من ظواهر مختلفة، كالحيّة والموت، والصحة والمرض، والنجاح والفشل، والربح والخسارة، والفرح والحزن، والغنى والفقر، والخوف والإقدام ...

تعدّ ثيمة (الحياة) مقدّمة على سائر الثيمات بوصفها بوتقة تنصهر فيها كلّ اللّذات، والإنسان مجبول على حبّها والاستمساك بأسبابها، والفعل الأنثروبونيّميّ أقوى الدلائل على التعلّق بها انطلاقا من ميل النّاس إلى التّسمي بأسماء تنتسب دلالاتها إليها بصراحة اللفظ، كعائشة وعويشة وعيشوش أو بما يحتمله من ضلال معناها كشويخة والشايدة باعتبار الشيخ لغة استبانة السنّ (العربية، صفحة 502)، وكالحاجة مادام يجري ثقافيا صفة لمن بلغ نصيبا من العمر، ولعلّ اسم الشّهلة من هذا الباب، فهي العجوز في اللغة (العربية، صفحة 498).

وما يلفت الانتباه أن ثيمة الحياة لا ترجى بمثل هذه الألفاظ المباشرة، بل إنّ درء الموت بالتسمي عرف ثقافيّ متقدّم يتنزّل في مقامها أيضا، مع واجب التنبيه إلى حظّ العاميّة في الفعل الأنثروبونيّميّ الجزائري، على غرار: المطيشة الذي صيغ وفقا لمعنى اللّاحاجة بشهادة أعيان من واقعنا المحليّ، ولعلّ اسم الرّامة يحتمل هذا الوجه الدلاليّ، فقد جاء في اللّغة: الشّيء البالي الذي ليس فيه مهارة أي خير وبقية (منظور، صفحة 1727)، كما نجد من المحمول الفصيح ما يتسمّى به لوضوح معناه مثل: برّفلّاح (برق لاح).

ثيمة الجمال ممّا يحكم الفعل الأنثروبونيّميّ المحليّ أيضا، مادام الجمال علامة مرغوبة للنساء خاصّة، وهنّ مجبولات بطبعهنّ على ملاحقته باستمرار، ولا تخفى سجيّة البحث عنه فيهنّ ثقافيا، ومن علاماته الاسميّة: الباهية، الزّينة، نوريّة، ويمكن إلحاق اسم الجذلة بهذا الباب، بناء على ما جاء في اللّغة: "جارية مجدولة الخلق حسنة الجدل" (العربية، صفحة 111) أي الخلق والتّصوير، تماما كاسم حُبارة، الذي يخرج جذرها إلى معاني النضارة والسرور والابتهاج (العربية، صفحة 151)، وجغمومة تجري مجراها أيضا، مع واجب التنبيه إلى أن الجيم مبدلة في العاميّة من شين في أصل اللّغة، فقد جاء في لسان العرب: «الشّغموم: الطويل التامّ الحسن من الناس والإبل، والمرأة منه شغمومة وشغموم» (منظور، صفحة 2286) ويقاس عليها اسم المزيّة، فهو كما هو بمعنى: التمام والكمال في كلّ شيء (منظور، صفحة 4195)، واسم المازية أيضا لغة هي الفضيلة (العربية، صفحة 867) ولعلّ شرموخة لا يخرج عن ذات المقصد إذا علمنا أنّه قد مسّه قلب مكانيّ على لسان العامّة، فقد وجدنا في لسان العرب أنّ الشّمروخ دالّ على العلو، يقال: الشماريخ: رؤوس الجبال، وشمراخ السحاب: أعاليه (منظور، صفحة 2323)، ولا يخفى في ثقافتنا أن اعتدال القوام من أمارات الحسن، وبهذا تُبرّر أسماء: الشامخة، نخلة، القايمّة، فقد جاء في اللّغة: «القيّمة: المستقيمة المعتدلة» (العربية، صفحة 768) ويمكن أن نلحق بها العائس أيضا، التي لا احتمال فيها للمعنى النّمطيّ للعنوسة ثقافيا، فمن اللامنطق التسمي بالمعاب عليها استشرافا، وقد ثبت في لغة العرب: ناقة عائسة وجمل عائس: سمين تامّ الخلق (منظور، صفحة 3129).

وممّا يسترعي النّهي استثمار النبات والحيوان أيضا في تركيبة ثيمة الجمال، على غرار: تفاحة، شمّامة، غزالة، الطّاوس، الحجلة، حمامة، ومن لواحقها الفاخنة، إذ ورد في لسان العرب: «تفحّنت المرأة إذا مشّت مشية الفاخنة، وهو ضرب من الحمام المطوّق (منظور، صفحة 3360) ثمّ إنّّه يجوز اعتبار اسم طومة ممّا يصلح انتسابه إلى هذا المدخل أيضا استنادا إلى الثابت لغة: التومة: اللؤلؤة والجمع ثوم (منظور، صفحة 457)، فإذا سلّمنا بتراوح الاستعمال اللّهجي بين التاء والطاء استوى اللفظان معنى.

ثيمة الغنى والاكتفاء مما يشغل المتخيل الإنساني باستمرار، ويعتبر فعل التسمي أحد كواشفه الثقافية، وكفى باسم ذراهم بياناً، مبالغة في وصف القيمة واستثناساً بيسر الحال في أن، ومن الممكن أن تكون بحرّية من ذات المخرج الدلالي أيضاً، فقد جاء في لغة العرب: "تبحر فلان في المال إذا فاض كفه بالعطاء كما يفيض البحر، والتبحر والاستبحار: الانبساط والسعة (منظور، صفحة 216) ويلحق به اسم النافجة، فقد ثبت أن «العرب كانت تقول في الجاهلية للرجل الذي تولد له بنت: هنيئاً لك بالنافجة، أي المعظمة لمالك، ذلك أنه يزوّجها فيأخذ مهرها من الإبل فيضمّها إلى إبله فينفجها، أي يرفعها ويكثرها» (منظور، صفحة 4492) وإذا علمنا أنه يقال: «القوم في غداف من عيشتهم أي في نعمة وخصب وسعة» (منظور، صفحة 3218) كان اسم الغدفة مما يحتمل هذا التّخريج الدلالي.

ثيمة السّكن أيضاً من أزكى الثّمينات الحياتيّة وأسمائها قيمة في البناء الاجتماعي الأدنى، وكفى بالنصّ القرآنيّ دليلاً: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا» الروم 21، ويتبدّى انعكاسها في في تلابيب المعطى الأنثروبونيّ الجزائريّ المتقادم من خلال تلك الأسماء المشمولة بالقرب، على غرار اسم: نوبية إذا صحّ الاعتراف بالدلالة المعجميّة القائلة: النّوب: القرب (منظور، صفحة 4569)، وفي مسارها الزّاهم، حيث ورد في اللغة: المزاهمة المقاربة والمدانة (منظور، صفحة 1882)، وما كان القرب مطلوباً إلا لما يكفله من دلالات الألفة والمعونة والمشورة، لذا ليس غريباً انتشار أسماء من قبيل: عونية، عودة، العاقلة...

ومن باب التماس القوة والسند فيها سمّي الجزائريّ: جبارة، عذرة، العلجة، العارم، الداخية¹ ... ولعلّ اسم وحشية مما يندرج ضمن هذا المسلك انطلاقاً من دلالاته على الشقّ الأيمن من كلّ شيء (منظور، صفحة 4784)، ومعلوم أنّ اليمين في ثقافتنا معول القوة والقدرة...

لم تمنع هذه الثّمينات المنتظرة في المرأة استشراف سماتها الأنثويّة عبر الأسماء، كالدلال في اسم غنوجة²، والحنان في اسم العكري³، والتفاني في الخدمة في اسم الوغدة⁴، وخدومة. والفتوة وتبعاتها في اسم فيالة⁵، والحبّ الجارف في اسم خباله، إذ يقال في اللغة: خبله الحبّ إذا أفسد عقله وأذهب فؤاده (العربية، صفحة 217) كما تنامت الرّغبة في أنفتها وكبريائها فكانت أبيّة، اسم أسقطت العامّة فاءه تسهيلاً وتخفيفاً.

في مقابل هذه المعطيات الدلالية لتلك الأسماء التي تفسّر شيئاً من الجانب الاتني الماضي للشعب الجزائري يوجد ما لا يحّد من الأسماء التي تدخل فيها الوجود والبيئة والطبيعة ولواحقها، فكانت أسماء كشافة لفجاجة العقل آنذ مع سذاجة الفكر ومحدوديته، فاسم قمره وديسة وتفاحة وخوخة ومشماشة ورمانة مما كثر تداوله في الأجيال الماضية، وتجاريها كثرة تلك الأسماء الموصولة بأيام الأسبوع، على غرار: حدة، ربعية، خميسة، جمعة، ولنا في اسم ذرايز ذاكرة تاريخيّة، توجز ثيمة الوطنيّة في نفوس الجزائريين، وليس غريباً أن كانت تونس اسماً شائعاً هو الآخر اعترافاً بالجميل وإقراراً بثيمة المناصرة بين الجيرة.

في جانب آخر، ذاك المسلك الثقافيّ الذي يعكس الاستمساك بالأنثى يضاهيه آخر يوحى بالنفور منها، ففي ثقافتنا يجري الاعتقاد بأنّ التسمي بأسماء من قبيل: حدّي، حدود، مبنّي على فكرة الحدّ عن الشيء بشهادة

¹ جبارة يمكن قياسها على ما ورد في اللغة: يقال رجل جبار إذا كان طويلاً عظيماً قوياً (منظور، صفحة 535) والعذرة لغة هي الشجاعة والإقدام (منظور، صفحة 2836) والعلجة هي العلجة مؤنث العُلج وهو الرجل القوي الضخم (منظور، صفحة 3065) أمّا العارم فمن عرم الإنسان إذا اشتدّ (منظور، صفحة 2913) والداخية من ديخ ودوخ إذا أدلّ وقهر (منظور، صفحة 1466)

² لأنّه يقال في اللغة: تغلّبت المرأة إذا تدللت على زوجها بملاحة فهي غنجة (العربية، صفحة 664) وغنوجة من تصرّيفات العامّة لتزداد غنجاً ودلالاً.

³ صرفيّاً النسبة إلى العكر عكريّ والعكر في اللغة: العطف، يقال: عكر يعكر عكراً عطف (منظور، صفحة 3055)

⁴ بناء على ما ورد في لسان العرب: وغدهم يغدّهم وغدا: خدمهم، والوغد: خادم القوم (منظور، صفحة 4878).

⁵ على أساس أنّ التقيّل في اللغة: زيادة الشباب ومهكته (منظور، صفحة 3503)

أعيان، وكأنّ قبول الأنثى محدود اجتماعيًا فيُطلب العدول عنها إلى الذكر، بوصفه وصيًا على النسب! كما تُحمل المولودة فال ما سيكون فتسمّى: موسّاع (أمّ السعد)، سعيّة، أمّهاني، أم الخير، البهجة، بهيجة، فريحة، على أمل أن تكون بشاره خير لأهلها، ومن المفارقات الثقافية المدهشة تلك الممارسة الأنثروبونيمية المضافة، التي يُعتمد فيها إلى مناداة الكنة بغير اسمها الفعلي، وعادة ما يكون الاسم الجديد حملًا لدلالات من إملاءات الثقافة الشعبية، حيث الكنة ثقافيًا مسؤولة عن عواقب الأمور! فمن باب التبرك تنادي مسعودة، مبروكة، مباركة، مربوكة، ربح، ربيحة، خضرة، الجيدة، خيرة.. ومن باب درء مفسد الأنظار فيها تسمّى الكاملة، المقدودة، ومخافة الحسد إذا ابيضّت تدعى الكحلة، السوداء، واتّقاء التّمتر تسمّى البيضة إذا اسودّت، وترقبًا للمعاملة الطيبة قيل: طريفة، ويمكن أن نلحق بها كيسة إذا علمنا أنّها الكيسة لغة (العربية، صفحة 807)، فقدت عينها التّضعيف بحكم ميل العامة بطبعها إلى خفة النطق.

ومما يستغرب من سلوكات تسموية قديمة حظر مناداة الزوجة باسمها الصريح أمام العائلة، حيث يلجأ الزوج إلى استعمال بدائل اسمية كمخلوقة، أو الضمير (هي)... ويزداد الحظر حدة أمام الغرباء، إذ يُستعاض عن الاسم بكلمات من قبيل: الدار، العايلة، لَمرا...

2.6 اسم وأسطورة ثاوية:

يقع اتّفاق الأنثروبولوجيين على اعتبار الأساطير مفاتيح لاستنباط عقلية الشعوب وفهم تصوّراتها، وكيف ترى العالم بلغاتها، والاسم ذاته في منظور الميثولوجيين أنفسهم يعدّ بابا لفهم كثير من الأساطير؛ لأنّه «مشتقّ من وقائع القصّة الواردة فيها، كما يتناسب مع الدور الذي يضطلع به صاحبه» (الثقافية، 2005، صفحة 198)، ولنا في التّجربة المحليّة ما يمكن الاستئناس به من أسماء تحوّلت وقائعها الحقيقيّة إلى ما يشبه الأساطير في طرافتها وغرابتها لمنافاتها المألوف والنمطي الغلاب اجتماعيًا، ويمكن التمثيل هنا باسم حيزيّة المتعلّق ببطلّة قصّة شعبية شبيهة بقصص الحبّ العذري في التراث العربي القديم، وقد أدّى اختلاف الرواية إلى تأرجحها بين حدّي الواقع والخيال، وإن حفظ لها الشّعور الملحون مقامها التداوليّ في الوسط الجزائريّ، فتناهى في العقول على أنّها امرأة اجتمع لها تمام الخلق وكمال الخلق، فبات الاسم مطلبًا منشودا على أمل أن تحظى صاحبتّه بمنال حيزيّة جمالا وأدبا.

كما يمكن تفسير شيوع اسم الزّازية قديما في ضوء المعطى الميثولوجي أيضا، ولعلّ في مجرى المثل الشعبيّ السّائر: (حاطّة روحها زازية ورداح) ما يمكن به ترجيح أسطرته، إذا احتملنا أنّ الزّازي انزلقت لهجيا من الجيم، لتكون الزازية هي الجازية الهلالية، نسبة إلى بني هلال، أصحاب السيرة التاريخية المتوارثة، والمحاطة بهالة من التقديس حتى صيرتها أسطورة تسرد صراعا مديدا مريرا بين فنتين: عربيّة وبربريّة (عزي، 2003، صفحة 349)، والنّاظر في تلك السيرة يجد الجازية شبيهة بالهة النصر بالمفهوم الميثولوجي، فتقدّس اسمها قداسة أفعالها الأسطوريّة!

وغير بعيد عن هذا المسلك لا مانع من احتمال الدّالة الميثولوجيّة في اسم الزّهرة أيضا، فهو مدار تلك الأسطورة الجامعة بين عالمين نقيضين جوهرًا ومادّة، عالم الإنس وعالم الملائكة، أولهما موصول بالزهرة، وبالمُلكين: هاروت وماروت يتعلّق ثانيهما، وتنبنى الأحداث على فكرتي: الخطيئة والمسح، حيث كانت الزّهرة سببا في معصية المُلكين، فمُسخّت إلى كوكب الزّهرة (عجينة، 1994، صفحة 211) ويذكر أيضا أنّ الزهرة ربّة الحسن والجمال، عبدها عرب الجزيرة العربيّة، لها علاقة بعشتار البابليّة إلهة الحبّ والجمال (عجينة، 1994، صفحة 212). ومن المفارقات أن أثبت المعجم دلالة الحسن والبياض في مادة (زهر) (منظور، صفحة 1877) ممّا يفتح السّؤال على حقيقة التّعالق بين الثّبتين: الميثولوجيّ والمعجميّ.

والأمر سيّان في اسم حوريّة المحمول في الثقافة العالميّة على حورية البحر من جهة، حتّى إنّ جاء في اللغة: الحوريّة فتاة تتراءى في البحار والأنهار (العربية، صفحة 206)، وموصولا بحور العين في الثقافة الإسلاميّة من جهة أخرى، الموصوفات وصفا عجائبيّا، مع اتّفاق المنظورين في بديع جمالها، ممّا زكّى الاعتقاد بجدارة الاسم في التداول الاجتماعي.

ومن زاوية أخرى، هناك أسماء أخرى تأسطرت بحكم ما عُرف عن أصحابها من كرامات وخوارق، من قبيل اسم الزّوادية، الذي نحتل -استنادا إلى مرويات محليّة- ارتباطه بامرأة عُرفت في بعض الدّشر الشرقيّة القديمة بقدرتها الخارقة على استجلاب العسل من الحجر، واستدرار الحليب من الصّرع الجاف، والتّقام النسور اللقمة من بين يديها، وما إلى ذلك من الأفعال العجائبيّة التي صيرتها علما روحانيّا في قالب بشريّ، وصار

اسمها متداولاً تبرّكا وتقرباً وخلصاً، ثم تنوسي الأصل وبات عرفاً أنثروبونيمياً محلّياً، كما نحتمل مناسبة الاسم لدلالة مسمّاه إذا اعتدنا بما يروى عن قدرة تلك المرأة في الدّفاع عن حماها بعين خفيّة! ولا تخفى المناسبة في تعلّق المادّة الاشتقاقية (نود) بمعاني الطّرد والدّرع (العربية، صفحة 317).

3.6 اسم منفور لدلالة مجهولة:

لا تزال كثير من الأسماء النسائية القديمة سارية المفعول في واقعنا اليوم، ولا ننكر ما يعترّيها من نفور اجتماعيّ دليله تجاوزها العمديّ في الإعلامية المعاصرة، فضلاً عما يذاع من تعبئة دلالية خاطئة لا تزيد الاسم إلا معاداة، وفي اسم صر هودة ما يمكن به التدليل، فالمعنى الشائع ثقافياً أنّ العامّة قد حرّفته من الاستعمال الفصح سّر الهدى مع أنّه لا يستقيم له دليل في اللّغة، بل في ضوء المعطى المعجمي يمكن اعتباره اسماً مركّباً تركيباً مزجياً (صر+هودة) أولهما دال على الشدّة (العربية، صفحة 512) وثانيهما يعني التوبة (العربية، صفحة 998)، وتقدّم اللغة السند في اعتبار اسم رهوية منسوباً إلى الرّهو المكان المرتفع (منظور، صفحة 1760) واسم البغشة في اللغة هو المطر الضعيف (منظور، صفحة 319)، ومنه تقول العامة بغدوشة أيضاً من باب التصغير والتعجّج، أمّا برنية لغة فواحدتها برنية وهو الثمر شديد الحلاوة (منظور، صفحة 270) وأمّا تبر فسبائك الذهب الخالص قبل أن تسبك (العربية، صفحة 81)، ونسبة إلى بلاد القرم كانت القرميّة تشغل الأبصار ببهائها، ثم انحدر الوصف إلى شمال إفريقيا واستوت قرميّة اسماً يُتّلع به إلى جمال الأولى! ومن أمارات الجمال في الأنثى خلوّ الجسد ممّا يشوبه من شعر زائد، واللغة تسمّي هذه المرأة زعراء (منظور، صفحة 1832)، ومن المرجّح أنّه الأصل الذي تولّد منه اسم زعرة ثم شطّ عن الأذهان وظلّ الاسم عرفاً أنثروبونيمياً، ويقاس على ذلك اسم بطيّة، فالزّاجح وفق المسرود اللغوي أنّه من الباطية- خاصّة إذا علمنا جنوح العامّة إلى الإمالة- وهي كلمة معرّبة تعني الناجود، وهو «إناء عظيم من الزجاج وغيره يتّخذ للشراب» (العربية، صفحة 62) ووجه اللقاء الاستعاريّ بين أنية الخمر والمرأة قديماً لا يحتاج إلى بيان! فقد كفاه ووفاه نظم الشعر في التراث العربي ...

إنّ مثل هذه التّخريجات اللّغوية من شأنها إعطاء تفسيرات اثنيّة للفعل الانثروبونيمي من جهة ؛ لأنّ الاسم في النّهاية جزء من اللغة ولا يمكنه الانفلات من ربقتها، ثمّ إنّها تعيد تصحيح فاسد الأنظار إليها مع تعزيز الثقة في نفوس أهلها بعد أن حملوا وزراً هم بُراء منه، ومن هنا يتأكّد دور الرافد المعجمي في رفع الحجب عن بعض المسالك الأنثروبونيميّة غير الواضحة، مع جدير الإشارة إلى أنّ إمكانيّة استثماره مرتبطة بمدى انتساب الاسم إلى اللّغة عبر ثبات مداخله المعجميّة، لأنّه لا يمكن نفي تأثّر اللّغات واللّهجات ببعضها بعضاً، فيصبح جهد البحث عن التّصورات الثقافيّة المتوارية خلف الأسماء يتعدّى حدود الفرديّة إلى الجماعيّة، بل يتجاوز السند المعرفيّ الواحد إلى الانفتاح على أنساق معرفيّة مختلفة.

خاتمة:

- بناء على ما تقدّم يمكن الخلوّص إلى النتائج الآتية:
- يظهر البحث قيمة المقاربة الأنثروبولوجيّة عبر المدخلين: اللساني والثقافي في استيضاح طبيعة العلاقة بين طرفي العلامات الإعلامية، انطلاقاً من تخطّي حدود التّأصيل إلى مكاشفة البنيات التصورية للعقلية الجزائرية في تسمية المرأة.
 - الإعلامية النسويّة الجزائرية القديمة هي رموز لغويّة تعكس الهويّة الاجتماعيّة والثقافيّة.
 - يعمل الفعل الأنثروبونيمي النسوي الجزائري المتقادم على استظهار ذهنيّة الجزائريين في التعامل مع أنفسهم والعالم من حولهم، متراوفاً بين الجلاء والإخفاء، تكريساً لقيم متفق عليها اجتماعياً.
 - مثلاً يجسّد الاسم الرغبة في المرأة كشف الرغبة عنها عند تحوّل وجودها إلى مهدّد لنظيرها.
 - أثبتت المسارد اللغويّة تعلّق أسماء النساء الجزائريّات قديماً بثيمات عزّت مقاماً في الذاكرة الإنسانيّة، تتقدّمها ثيمة الحياة باعتبارها بوتقة تنصهر فيها كلّ الثيمات واللّذات.
 - أبانت الأسماء أنّ مطلب الأنوثة متكرّر بقوة في النّسق الثقافي الجزائري لكنه لم يمنع رجاء القوة والافتقار لتكون سندا وعضداً.
 - رغم أنّ معظم المسالك الدلالية المسترفدة في التسمّي ثرة ومقبولة لكنّها لم تمنع كشف فجاجة العقل الجزائري القديم في بعضها الآخر المحكوم بتوجيه البيئة والطبيعة والوجود.

- أبان الرافد اللساني أنّ الثفور من الأسماء القديمة لا يعلّله غير الجهل بدلالاتها اللغويّة الثقافية.
- ترتقي كثير من الأسماء النسويّة الجزائرية القديمة المنفورة في مدارج جماليّة المعنى، ما يعني أنّها موروثة ثقافيّ جدير بالإشادة والإبانة.
- لم يسلم الفعل الأنثروبونيمي النسوي الجزائري من البعد الميثولوجي، الذي يحفظ للمرأة مركزها الاجتماعيّ الفعّال.
- اسم المرأة الجزائرية قديما ليس مجرد أداة تعيينيّة بل هو جزء من العرض، فأولى به المداراة في سياقات اجتماعيّة معيّنة.
- كشف المنجز الأعلاميّ النسويّ المحليّ أنّ المجتمع الجزائريّ ذكوريّ بطبعه، وتتنزّل المرأة في مقام التّابع أبداً، فالمنتظر من سماتها الأنثويّة وما يستشرف منها وما يؤمل فيها دليل على أنّهما لا يستويان كتماً.
- المبحث الأنثروبونيمي مبحث ثرّ، وهو على قدر حيويّته ومتعته صعب المراس، إذ يتجاوز العمل الفرديّ إلى الجماعيّ، ويفوق الإلمام به التخصّص الواحد إلى المعارف المشتركة في دراسة ثقافة الإنسان...

قائمة المراجع:

1. إبراهيم الشمسان. (2005). أسماء الناس في المملكة العربية السعودية. السعودية: مكتبة فهد للنشر.
2. ابن لسان العرب منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب. القاهرة، مصر: دار المعارف.
3. أحمد أبو زيد. (1980). النصوص والإشارات قراءة في فكر رولان بارث. عالم الفكر، 11.
4. الثعالبي. (2003). فقه اللغة وأسرار العربية. لبنان: المكتبة العصرية.
5. ألسندرو دوراتني. (2013). الأنثروبولوجيا الألسنتيّة. (فرانك درويش، المترجمون) المنظمة العربية للترجمة.
6. السيوطي. (1998). المزهري في علوم اللغة وأنواعها. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
7. أمبرتو إيكو. (2002). العلامة تحليل المفهوم وتاريخه. (سعيد بنكراد، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي.
8. بوخالفة عزي. (2003). تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية. الجزائر.
9. جمعية التجديد الثقافية. (2005). الأسطورة توثيق حضاريّ. البحرين.
10. سعاد علي شعبان. (2004). الأنثروبولوجيا الثقافيّة لإفريقيا. مصر: معهد البحوث والدراسات الإفريقية.
11. سعيد بنكراد. (2013). وهج المعاني سيميائيات الأنساق الثقافيّة. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
12. فندريس. (1950). اللغة. القاهرة، مصر لجنة البيان العربي.
13. كريمة شعبان. (2019). الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. الجزائر.
14. مجمع اللغة العربية. (بلا تاريخ). المعجم الوسيط. القاهرة، مصر: المكتبة الإسلامية.
15. محمد رياض. (2012). الإنسان دراسة في النوع والحضارة. القاهرة، مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
16. محمد عجينة. (1994). موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها. بيروت، لبنان: دار الفارابي.
17. محمود الذواودي. (2013). الازدواجية اللغوية الأمانة. تونس: تير الزمان.
18. منال محمد أسعد. (2024). من اللغة إلى الثقافة... عبر الكلمات. مجلة إحالات، 6(4).
19. هدى جباس. (2005). الاسم هوية وتراث، مقاربة أنثروبولوجية لدلالة الأسماء في قسنطينة (1901 ، 2001). مجلة إنسانيات (30/29).
20. هشام بن سنوسي. (2017). الأنثروبولوجيا الثقافيّة. الجزائر: مطبوعة بيداغوجية، جامعة جيجل.